

بالتفصيل  
منه

## تعريف علم أصول التفسير

### تعريفه:

اسم هذا العلم مكون من كلمتين (أصول، التفسير) وسأذكر تعريف كل كلمة لغة واصطلاحاً في حالة الأفراد. ثم معناهما في حالة التركيب:

### الأصول لغة:

جمع أصل، وهو في اللغة:

أساس الشيء الذي يقوم عليه، وهو عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره.

### وفي الشرع:

عبارة عما يبنى عليه غيره ولا يبنى هو على غيره، والأصل ما يثبت حكمه بنفسه، ويبنى عليه غيره<sup>(١)</sup>، وأصول العلوم: قواعدها التي تبنى عليها الأحكام.

### التفسير لغة:

اختلف علماء اللغة في لفظ (التفسير):

فقيل: هو (تفعيل) من (الفسر) بمعنى الإبانة وكشف المراد عن

(١) التعريفات: للجرجاني، ص ٢٢.





﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ  
الْبَيِّنَاتِ﴾ (٢). أي: تفصيلاً (٣).

وقيل: هو (مقلوب) من (سَفَرَ) ومعناه أيضاً: الكشف. يقال: سَفَرَتِ  
المرأةُ سَفُوراً إذا أَلَقَتْ خِمَارَها عن وجهها وهي سافرة. وأسفر الصبحُ:  
أضاء. وإنما بَنَوْا «فَسَرَ» على التفعيل فقالوا: «تفسير» للتكثير (٤).

وقال الراغب الأصفهاني: (الْفَسْرُ) و(السَّفْرُ) يتقاربان معناهما كتقارب  
لفظيهما لكن جُعِلَ الْفَسْرُ لإظهار المعنى المعقول... وجعل السَّفْرُ للإبراز  
الأعيان للأبصار، فقيل: سَفَرَتِ المرأةُ عن وجهها وأسفر الصبح (٥).

### التفسير اصطلاحاً:

والتفسيرُ اصطلاحاً: عِلْمٌ يُفهم به كتابُ الله تعالى المُنزَلُ على نبيه  
محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمِهِ (٦).

وقال أبو حيان: التفسير علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن  
ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة  
التركيب وتتمات لذلك (٧).

### الفرق بين التفسير والتأويل (٨):

ورد في بيان الفرق بين التفسير والتأويل أقوال عديدة وما ذاك إلا

- (١) تهذيب اللغة: الأزهري، ٤٠٧/١٢.
- (٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.
- (٣) البرهان في علوم القرآن: للزركشي، ١٤٨/١.
- (٤) المرجع السابق: ١٤٧/١.
- (٥) المرجع السابق: ١٤٨/٢.
- (٦) البرهان في علوم القرآن: للزركشي، ١٣/١، وانظر: الإتيان للسيوطي، ١٧٤/٢.
- (٧) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي، ١٣/١ - ١٤.
- (٨) للشيخ حامد العمادي (مفتي دمشق) رسالة لطيفة بعنوان: «التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل».

نتيجة لبعد أصحاب هذه الأقوال عن معناها عند السلف، إذ أن لهما عند السلف معنيين لا ثالث لهما:

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «أن للتأويل في اصطلاح السلف معنيين:

الأول: تفسير الكلام وبيانه سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون معنى التأويل والتفسير متقارباً أو مترادفاً، وهذا هو الذي عناه مجاهد: أن العلماء يعلمون تأويله، ومحمد بن جرير الطبري حين يقول: (القول في تأويل قوله كذا وكذا) (واختلف أهل التأويل في هذه الآية) ونحو ذلك ومراده التفسير.

الثاني: هو نفس المراد بالكلام:

فإن الكلام إذا كان طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فالتأويل عند السلف معنيان:

الأول: أن التأويل والتفسير بمعنى واحد.

وقد ورد هذا الاستعمال في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ومفسري السلف.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْلِكُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: وما يعلم تفسيره إذا كان الوقف على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وتكون الواو عاطفة. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ بِمَعْلَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، كل ذلك وغيره بمعنى التفسير.

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ٢٨٨/١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٦.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٤.



ومن السنة: دعاء الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»<sup>(١)</sup>، أي: التفسير.

ومن أقوال الصحابة قول ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا ممن يعلم تأويله»<sup>(٢)</sup>، يعني: تفسيره.

ومن أقوال التابعين قول مجاهد - رحمه الله تعالى -: «الراسخون في العلم يعلمون تأويله»<sup>(٣)</sup>، يعني: تفسيره.

ومن أئمة السلف قول الشافعي (ت ٢٠٤) رحمه الله تعالى في كتابه الأم في عدة مواضع «وذلك - والله أعلم - بيّن في التنزيل، مستغنى به عن التأويل»<sup>(٤)</sup>، يعني: التفسير، وقال ابن الأعرابي (ت ٢٣١): «التفسير والتأويل والمعنى واحد»<sup>(٥)</sup>، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠): «التأويل: التفسير»<sup>(٦)</sup>، وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١): «التأويل والمعنى والتفسير واحد»<sup>(٧)</sup>.

وأشهر المفسرين وإمامهم ابن جرير الطبري (ت ٣٢٤) أكثر من قول: القول في تأويل قوله تعالى...»، وقوله: «واختلف أهل التأويل في هذه الآية»، ويعني بهذا كله التفسير.

والثاني: أن التفسير هو معنى اللفظة، والتأويل هو نفس المراد بالكلام، أي: تحققه وخروجه إلى الواقع المحسوس.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٦٦/١، والطبراني في معجمه الكبير (١٠٦١٤) و(١٢٥٠٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٠٣/٦، رقم: ٦٦٣٢.

(٣) تفسير مجاهد ١٢٢/١، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٠٣/٦.

(٤) كتاب الأم: ٣١٩/٧، وانظر: ٢٨/٢، و٢٤٢/٤.

(٥) تهذيب اللغة: للنووي ٤٠٧/١٢.

(٦) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى ٨٦/١.

(٧) الإقتان: للسيوطي ١٧٣/١، وتهذيب اللغة ٢١٣/٣، ولسان العرب ٤٤٦/٩.



فإن كان خبيراً كان تأويله وقوع المخبر به وتحققه كمن يقول: جاء محمد، فتفسيره: وصل محمد، وتأويله نفس المجيء والوصول وتحققه.

وقد ورد هذا الاستعمال في الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف.

فمن الكتاب: قول يوسف عليه السلام لأبيه يعقوب عليه السلام: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾<sup>(١)</sup>، فتحققت رؤياه ورفع أبويه على العرش وسجد له إخوته سجود تحية وكانت يومئذ التحية بالسجود.

ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: يوم يأتي تحققه ووقوعه يوم القيامة.

وكذا في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>، على أن الوقف على لفظ الجلالة والمعنى حينئذ لا يعلم كيفية وقوع ووقت ما أخبر الله عنه من أخبار القيامة وأشراتها إلا الله.

ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَفِرُّهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾<sup>(٤)</sup>. عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»<sup>(٥)</sup>، يعني: يحققه ويعمل بأمره فامتثاله هو التأويل.

وما رواه سعيد بن جبير رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ويذكر أن

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ٥٣.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ٧.

(٤) سورة النصر، من الآية: ٣.

(٥) رواه البخاري كتاب التفسير: باب ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(١)</sup>، ص ٨٩٠، حديث ٤٩٦٨.

رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك، ويتأول هذه الآية ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (١)(٢).

هذان المعنيان السابقان هما معنى التأويل الصحيح عند السلف وهما الواردان في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

ثم أطلق علماء أصول الفقه هذا المصطلح (التأويل) إطلاقاً:

ثالثاً: وهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.

وذلك أنهم قسموا الحكم إلى منطوق ومفهوم، وقسموا المنطوق إلى نص وظاهر ومؤول. وهو اصطلاح حادث على اللغة ومصطلح القرآن وقد صار المراد بالتأويل مشكلاً بسبب بروز هذا المصطلح الحادث<sup>(٣)</sup>.

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «والتأويل في عرف المتأخرين من الفقهاء والمتكلمة والمحدثه والمتصوفة ونحوهم وهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف»<sup>(٤)</sup>.

وورد هذا القول عن ابن حزم<sup>(٥)</sup> (ت ٤٥٦)، وأبي الوليد الباجي<sup>(٦)</sup> (ت ٤٧٤)، وابن الجوزي<sup>(٧)</sup> (ت ٥٩٧)، وابن الأثير<sup>(٨)</sup> (ت ٦٠٦).

وقد أدى هذا القول إلى أخطاء كثيرة قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «وأما التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى

(١) سورة البقرة، من الآية: ١١٥.

(٢) تفسير الطبري: ط. أحمد شاکر ٥٣٠/٢.

(٣) مفهوم التفسير والتأويل: د. مساعد الطيار ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٨٨/١٣.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام: لابن حزم، ٤٣/١.

(٦) الحدود: للباجي ص ٤٨.

(٧) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ص ٢١٦.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير ٨٠/١ - ٨١.



الاحتمال المرجوح كتأويل من تأوّل (استوى) بمعنى: استولى ونحوه فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له؛ بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته»<sup>(١)</sup>.

وقد أدى هذا الخلاف إلى إحداه أقوال أخرى أذكر منها:

رابعاً: أن الاختلاف بينهما في العموم والخصوص.

فقال الراغب الأصفهاني: «والتفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا»، ثم قال: «والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ والتأويل يستعمل أكثره في الجمل»<sup>(٢)</sup>.

وقال الطوفي: إن التأويل أعم لجريانه في الكلام وغيره يقال تأويل الكلام كذا، وتأويل الأمر كذا، أي: ما يؤلان إليه، بخلاف التفسير فإنه يخص الكلام ومدلوله، يقال: تفسير الكلام كذا والقضية كذا<sup>(٣)</sup>.

خامساً: أن التفسير هو القطع بأن مراد الله كذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع، وهذا قول الماتريدي<sup>(٤)</sup>.

سادساً: ومنهم من قال: التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية. قال الحسين بن الفضل البجلي: «التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية»<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو نصر عبدالرحيم بن عبدالكريم القشيري: ويعتبر في التفسير الاتباع والسمع، وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل»<sup>(٦)</sup>.

(١) درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية ٣٨٢/٥ - ٣٨٣.

(٢) مقدمة جامع التفاسير: للراغب الأصفهاني ص ٤٧.

(٣) الإكسير في علم التفسير: للطوفي الصرصري، ص ٢.

(٤) الإيتقان: للسيوطي ١٧٣/٢.

(٥) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ١٥٠/٢.

(٦) المرجع السابق: ١٥٠/٢، والإيتقان: ١٧٣/٢ - ١٧٤.

وقال الخازن: «الفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح»<sup>(١)</sup>.

مثال التفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾<sup>(٢)</sup>. هما الأوس والخزرج، وقوله تعالى: ﴿...سَتَدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ...﴾<sup>(٣)</sup>. هم فارس وأهل اليمن، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾<sup>(٤)</sup>. هو الأخنس بن شريق، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...﴾<sup>(٥)</sup>. هو صهيب، فهذا ونحوه من التفسير ولا يتكلم فيه إلا بالسمع.

ومثال التأويل قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا...﴾<sup>(٦)</sup>، قال بعضهم: أي شباناً وشيوخاً. وقال آخرون: أي فقراء وأغنياء، وقال قوم: أي عزياناً ومتأهلين، وقال جماعة: أي أصحاب مرضى، وقالت طائفة: أي نشاطاً وغير نشاط، فهذا من التأويل، وكله جائز مقبول ولا بأس بالقول به بما يوافق الأصول ولم يخالف العقول<sup>(٧)</sup>.

سابعاً: وقيل: علم التفسير للخلق وعلم التأويل للحق. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٨)</sup>.

وهو فيما يرجع إلى الغيب الذي أبهمه الله تعالى كالساعة متى وقوعها وأشراطها ومتى ظهورها.

ثامناً: وقال أبو طالب الثعلبي<sup>(٩)</sup>: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة

(١) تفسير الخازن: ١٠/١.

(٢) سورة الحجرات، من الآية: ٩.

(٣) سورة الفتح، من الآية: ١٦.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٠٤.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٠٧.

(٦) سورة التوبة، من الآية: ٤١.

(٧) التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل: حامد العمادي صفحة (٦) (مخطوطة).

(٨) سورة آل عمران، من الآية: ٧.

(٩) وقيل الثعلبي بالتاء والغين ولم أجد له ترجمة.



أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصَّيْب بالمطر، والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من (الأوَّل) وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل: إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير: إخبار عن دليل المراد. لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾<sup>(١)</sup>، تفسيره: إنه من الرُّضْدِ، يقال: رصدته، أي: رقبته، والمرصاد: مفعال منه، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه<sup>(٢)</sup>.

### أنواع التفسير:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: التفسير على أربعة أوجه:

وجه تعرفه العرب من كلامها.

وتفسير لا يعذر أحد بجهالته.

وتفسير يعلمه العلماء.

وتفسير لا يعلمه إلا الله<sup>(٣)</sup>.

وقد بين الطبري - رحمه الله تعالى - هذه الوجوه<sup>(٤)</sup> بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وغيرها من الآيات ثم قال: فقد تبين ببيان الله جلَّ ذكره: أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ:

١ - ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ:

وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره - واجبه وندبه وإرشاده -

(١) سورة الفجر، الآية: ١٤.

(٢) الإتيان: للسيوطي ١٧٣/٢، وانظر الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص ٧٠.

(٣) تفسير الطبري: ٧٥/١.

(٤) تفسير الطبري: ٧٣/١ - ٧٥ (باختصار يسير).

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٤.

وصنوف نهييه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه.... وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله ﷺ له تأويله....

٢ - ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار:

وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور ونزول عيسى ابن مريم وما أشبه ذلك فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشرائها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه وبذلك أنزل ربنا محكم كتابه....

٣ - ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان العربي:

وذلك: إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفات الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجمله أحد منهم وذلك كسامع منهم لو سمع تالياً يتلو ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَصَلِحُكُمْ (١١)﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢)﴾ أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضره وأن الإفساد مما فعله منفعه....

هذه الوجوه الثلاثة، أما الوجه الرابع الذي هو الجهل بهما وهو: ما لا يعذر أحد بالجهل بهما إلى أنه: «معنى غير الإبانة عن وجوه الجهل أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل بهما»

ذكره ابن عباس صحيح غير أن يعلمه العلماء من الرجوع إليهم العلم به فما لا يعذر أحد بجهله

(١) سورة البقرة، الآية (١١)

(٢) تفسير الطبري؛



يكون فرض العلم به على الأعيان، وما يختص بالعلماء يكون فرض العلم به على الكفاية فصار التفسير منقسماً إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما اختص الله بعلمه كالغيوب فلا مساع للاجتهااد لي تفسيره...

والثاني: ما يرجع فيه إلى لسان العرب (اللغة والإعراب).

والثالث: ما يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء وهو تأويل المتشابه واستنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العام...<sup>(١)</sup>.

### تعريف أصول التفسير بمعناه المركب:

وأما (أصول التفسير) اصطلاحاً فهي:

القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير وتشمل:

ما يتعلق بالمفسر من شروط وآداب.

وما يتعلق بالتفسير من قواعد وطرق ومناهج وما إلى ذلك.

وقيل هو اصطلاحاً:

العلم الذي يتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن ويكشف الطرق المنحرفة أو الضالة في تفسيره.

وهو علم واحد من علوم كثيرة أنشئت لخدمة القرآن الكريم كعلم التجويد والقراءات والرسم وغيرها.

وله صلة وثيقة بعلوم القرآن، فهو من أهمها وأبرزها، وقد يطلق على علوم القرآن الكريم (أصول التفسير) من باب إطلاق الجزء على الكل وإظهاراً لمكانته فيها، وسُمِّيَ بأصول التفسير لأنه يُبنى عليها علمُ التفسير حسب قواعده وشروطه.

(١) النكت والعيون: للماوردي ٣٧/١ - ٣٨.

## غاية أصول التفسير:

وغاية هذا العلم ضبط التفسير بوضع القواعد الصحيحة والطرق السليمة والمناهج السديدة للتفسير، والشروط المحكمة والآداب الفريدة للمفسر.

وكما أن غاية التجويد النطق الصحيح لألفاظ القرآن فإن غاية أصول التفسير الفهم الصحيح لمعانيه.

وإن مثل علم أصول التفسير بالنسبة للتفسير كمثل علم النحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية فهو ميزان يضبط القلم واللسان ويمنعهما من الخطأ في آخر الكلم، فكذلك علم أصول التفسير هو ميزان للمفسر يضبطه ويمنعه من الخطأ في التفسير، وهو ميزان يتبين به التفسير الصحيح من التفسير الفاسد<sup>(١)</sup>.

## فائدة أصول التفسير:

ولهذا العلم فوائد ليس من السهل حصرها ومن أهمها:

١ - التزود بالثقافة العالية من المعارف القيمة والتسلح بسلاح العلم والمعرفة للدفاع عن القرآن الكريم ضد الأعداء الذين يبذلون وسعهم لتحريف معاني القرآن والإلحاد فيه.

٢ - معرفة الطرق الصحيحة لتفسير القرآن الكريم وما يُقبل منها وما يُرد ومعرفة من يصح تلقي التفسير عنه، ومن لا يصح تفسيره للقرآن.

٣ - معرفة القواعد التي تُعين على فهم كتاب الله تعالى الفهم الصحيح حتى يبني المسلم عقيدته على قاعدة صحيحة ثابتة.

٤ - الاطلاع على الجهود العظيمة التي بذلها علماء السلف للمحافظة

(١) أصول التفسير وقواعده: لخالد العك ص ٣٠ - ٣١.



على القرآن الكريم لفظاً ومعنى، ومن ثم الاقتداء بهم في ذلك والسير على  
نيجيم.

### موضوع أصول التفسير:

اعلم أنّ موضوع كل علم هو الشيء الذي يبحث ذلك العلم عن  
أحواله العارضة لذاته<sup>(١)</sup>. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ أصول التفسير تبحث في  
علم التفسير من حيث التعريف به ونشأته وتحديد قواعده وأساسه وحكمه  
وأقسامه وطرقه ومناهجه وأساليبه وأسباب وأنواع الاختلاف فيه ونحو ذلك.

### فضل هذا العلم ومكانته:

لهذا العلم مكانة كبيرة وشرف عظيم ذلك أنّ شرف العلم من شرف  
المعلوم وأصول التفسير تبحث في علم التفسير وموضوع هذا العلم هو  
القرآن الكريم وهو خير الكلام لأنه كلام الله تعالى، فلا عجب أن تكون  
أصول التفسير من أشرف العلوم وأعلاها مكانة وأكثرها فضلاً.



(١) الإحكام في أصول الأحكام: للآمدي ٧/١.

## نشأة علم التفسير ومراحله

جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يبعث لكل أمة نبياً بلسان قومه وأن يكون كتابه بلسانهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾<sup>(١)</sup>.

وظهر محمد ﷺ في جزيرة العرب وأنزل الله عليه القرآن بلسان قومه اللسان العربي ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٦٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٦٥﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

وكان القوم عرباً خالصاً يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي، غير أن القرآن يعلو على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلاً عن معانيه، ولذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه وإن كان كل منهم يدرك منه ما يوقفه على إعجازه، فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معنى فإن أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى ولم يجدوا مَنْ يفسره لهم سألوا الرسول ﷺ فبيّنه لهم. وبهذا نشأ علم التفسير ثم مرّ بمراحل أبرزها:

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ - ١٩٥.



## المرحلة الأولى: التفسير في عهد الرسول ﷺ:

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩) (١)، كما تكفل لنبيه محمد ﷺ أن يجمع القرآن في صدره ﴿لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانِكَ لِتَجْعَلَ بِهِ﴾ (١١) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) (٢)، ثم كلف الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يبين لهم القرآن وأن يفسره لهم قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ (٤٤) (٣).

ولذا فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يراجعون إلى الرسول ﷺ فيما أشكل عليهم فهمه من القرآن فيجدون الجواب الشافي وقد اختلف العلماء في مقدار ما فسره الرسول ﷺ من القرآن إلى قولين:

الأول: أن الرسول ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، وهذا قول ابن تيمية وغيره حيث قال: «يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿... لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾ (٤) يتناول هذا وهذا» (٥).

واستدلوا بأدلة منها:

١ - آية النحل ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ (٤٤) (٦).

والبيان يتناول الألفاظ والمعاني وكما أنه بين ألفاظه كلها فقد بين معانيه كلها.

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة القيامة، الآيتين: ١٦ - ١٧.

(٣) سورة النحل، من الآية: ٤٤.

(٤) سورة النحل، من الآية: ٤٤.

(٥) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، تحقيق: د. عدنان زرور، ص ٣٥.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤٤.

٢ - حديث أبي عبدالرحمن السُّلَمي «حدثنا الذين كانوا يُقرئونا؛ أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلوها حتى يعملوا بما فيها من العمل: فتعلمنا القرآن، والعمل جميعاً»<sup>(١)</sup>.

٣ - وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا»<sup>(٢)</sup>. وما ورد أن ابن عمر رضي الله عنهما أقام على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمان سنين ذكره مالك<sup>(٣)</sup>. قالوا: ولو كان المراد مجرد الحفظ لما احتاج إلا لزمن يسير فدلّ هذا على أن المراد لهم المعاني:

٤ - وقالوا: إنّ كل كلام المقصود منه فهم معانيه. دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فنّ من العلم كالطبّ والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم<sup>(٤)</sup>.

الثاني: قالت طائفة: إن الرسول ﷺ لم يُبين لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات، قال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين... فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي ﷺ أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن؛ فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه<sup>(٥)</sup>. واستدلوا بأدلة منها<sup>(٦)</sup>:

١ - ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لم يكن النبي ﷺ

(١) تفسير الطبري ٨٠/١، وقال الأستاذ أحمد شاکر: «هذا إسناد صحيح متصل وغلل ذلك بأن إبهام الصحابي لا يضر، بل يكون حديثاً مسنداً متصلاً».

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٢٠/٣.

(٣) الموطأ: مالك بن أنس ٢٠٥/١.

(٤) لخصت هذه الأدلة من مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية: ص ٣٥ - ٣٧.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨/١.

(٦) أورد هذه الأدلة: الدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله تعالى - في كتابه (التفسير والمفسرون) ٥١/١ وما بعدها.



يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه إياه جبريل عليه السلام<sup>(١)</sup>.

٢ - قالوا: إن الله لم يأمر نبيه محمداً ﷺ بالنص على المراد في الآيات كلها لأجل أن يتفكر عباده في كتابه والعلم بالمراد فيما لم ينص على معناه يستنبط بأمارات ودلائل<sup>(٢)</sup>.

٣ - وقالوا: لو بين الرسول ﷺ كل معاني القرآن لما كان لدعائه لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»<sup>(٣)</sup>، فائدة لأن الناس على حد سواء في تأويله فكيف يخص ابن عباس بهذا الدعاء<sup>(٤)</sup>.

### الرأي الرابع:

والذي أراه أن الرسول ﷺ لم يبين معاني كل الآيات القرآنية لأن:

١ - من الآيات ما يرجع فهمها إلى معرفة كلام العرب والقرآن نزل بلغتهم ومثل هذا لا يحتاج إلى بيان.

٢ - ومنها ما يتبادر فهمه إلى الأذهان لظهوره وبيانه فلا يحتاج إلى بيان، مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾<sup>(٥)</sup>. فالمتبادر أن المراد بالتحريم تحريم الوطاء ولا يتبادر إلى الذهن غيره.

٣ - ومنها ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح وغير ذلك من الأمور الغيبية التي لم يُطْلِعْ عليها نبيه محمداً ﷺ نفسه فكيف يُبينها لأصحابه وهو لا يعلمها.

٤ - ومن الآيات ما لا فائدة في معرفة أكثر من معناها المتبادر ولا طائل في معرفة ما وراء ذلك مثل معرفة لون كلب أصحاب الكهف وعصا

(١) رواه الطبري في تفسيره ٨٤/١، وقال في ص ٨٩: أن فيه علة لا يجوز معها الاحتجاج

(٢) النظر الإتيان: للسيوطي ١٧٤/٢ - ١٧٥.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٦٦/١، وصححه الألباني شرح الطحاوية، ص ٢٣٤.

(٤) نظراً الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٣/١.

(٥) سورة النساء، من الآية: ٢٣.

موسى عليه السلام من أي الشجر كانت وأنواع الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، ومثل هذا لا يبينه الرسول ﷺ لأصحابه لما ذكرت. وعلى هذا نستطيع الجزم بأن الرسول ﷺ لم يفسر لأصحابه كل آيات القرآن الكريم.

كما أنه لا يصح القول بأن الرسول ﷺ لم يفسر لأصحابه إلا الآيات القليلة وحديث عائشة رضي الله عنها الذي استدلوا به من رواية محمد بن جعفر الزبيري.

قال الطبري: «إنه ممن لا يعرف في أهل الآثار»<sup>(١)</sup>. وقال ابن كثير: «حديث منكر غريب»<sup>(٢)</sup> وعلى فرض صحته فقد حمله أبو حيان على مغيبات القرآن وتفسيره لمجمله ونحوه مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

ويكفي في نقض هذا الرأي الروايات الكثيرة في كتب الصحاح المرفوعة للرسول ﷺ في بيان الكثير وليس القليل من آيات القرآن الكريم.

### منهج الرسول ﷺ في التفسير:

لم يكن الرسول ﷺ يطنب في تفسير الآية، أو يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته ولا ثمرة في إدراكه فكان جُلُّ تفسيره ﷺ إمّا بياناً لمجمل، أو توضيحاً لمشكل، أو تخصيصاً لعام، أو تقييداً لمطلق أو بياناً لمعنى لفظ أو متعلقه.

ومن أمثلة تفسيره ﷺ ما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه بقوله: «سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

(١) تفسير الطبري: ٨٩/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٥/١.

(٣) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ١٣/١.



قُوْرٌ ﴿١﴾، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ﴿٢﴾.

ومن الأمثلة بيان المراد بالمن في قوله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّغْمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ ﴿٣﴾. روى سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكمة من المن وماؤها شفاء للعين» ﴿٤﴾.

وما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين النصارى» ﴿٥﴾ وعن أبي ذر رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ عن المغضوب عليهم، قال: اليهود، قلت: الضالين؟ قال: النصارى. ﴿٦﴾

### المرحلة الثانية: التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم:

ذكرنا - آنفاً - أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا عرباً خالصاً يفهمون القرآن ويدركون معانيه ومرامييه بمقتضى سليقتهم العربية فهماً لا تعكره عجمة، ولا يشوّهه شيء من قبج الابتداع، وتحكم العقيدة الزائفة ﴿٧﴾.

وإذا خفي عليهم معنى أو دقّ عليهم مرمى رجعوا إلى الرسول ﷺ فيبين لهم ذلك ووضحه، وإن لم يتيسر لهم ذلك رجعوا إلى اجتهادهم.

وكان التفاوت بينهم واضحاً في هذه الرتبة فكان بعضهم يرجع إلى بعض في تفسير بعض الآيات القرآنية ويسأله عن معناها، إذ التفاوت بينهم راجع إلى التفاوت في قوة الفهم والإدراك، والتفاوت فيما أحاط بالآية من

- 
- (١) سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.
  - (٢) رواه مسلم: ١٥٢٢/٣ باب فضل الرمي.
  - (٣) سورة البقرة، من الآية: ٥٧.
  - (٤) رواه البخاري كتاب التفسير، حديث رقم: ٤٤٧٨، ص ٧٦١.
  - (٥) رواه أحمد في مسنده ٣٧٨/٤ - ٣٧٩، والطبري في تفسيره ١١٠/١، وابن حبان في صحيحه ح ٧٢٠٦، ١٨٣/١٦ - ١٨٤.
  - (٦) رواه ابن مردويه انظر الإتيان: للسيوطي ص ٨٨٥، وتفسير ابن كثير ٣٠/١.
  - (٧) انظر التفسير والمفسرون: للذهبي ٦/١.

ظروف وملابس، بل كانوا يتفاوتون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة<sup>(١)</sup> وظهر لآخرين منهم، ولا ضير في هذا فإن اللغة وإن أحاط بها مجموع أهلها لا لا يُحيط بها كل فرد من أهلها فقد خفي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه معنى الأب في قوله تعالى: ﴿رَفَقَهُمْ وَأَبًا﴾<sup>(٢)</sup>. ومعنى التخوف في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ...﴾<sup>(٣)</sup> حتى قال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص<sup>(٤)</sup>.

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها»<sup>(٥)</sup>.

وهذا عدي بن حاتم رضي الله عنه لم يفهم المراد بقوله تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ...﴾<sup>(٦)</sup>. فكان يجعل عند رأسه عقلاً أبيض وعقلاً أسود حتى بين له الرسول ﷺ المراد<sup>(٧)</sup>.

ويرجع تفاوتهم في فهم القرآن - كما أشرنا - إلى أمور عديدة منها:

- ١ - تفاوتهم في أدوات الفهم كالعلم باللغة فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها مُلمّاً بغريبها، ومنهم من كان دون ذلك.
- ٢ - وتفاوتهم في ملازمة الرسول ﷺ وحضور مجالسه.
- ٣ - وتفاوتهم في معرفة أسباب النزول وغيرها مما له تأثيره في فهم الآية.

(١) المرجع السابق: ٣٤/١.

(٢) سورة عبس، الآية: ٣١.

(٣) سورة النحل، من الآية: ٤٧.

(٤) الموافقات: للشاطبي: ٨٧/٢ - ٨٨.

(٥) الإتيان: للسيوطي ١/١٤٩.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ١٨٧.

(٧) انظر صحيح البخاري ١٥٦/٥.



٤ - وتفاوتهم في العلم الشرعي .

٥ - وتفاوتهم في مداركهم العقلية شأنهم شأن غيرهم من البشر، كل هذا وغيره كان من أسباب تفاوتهم في معرفة القرآن وتفسيره، ولذا قال مسروق رحمه الله تعالى: «جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذا - يعني: الغدير - فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة، والإخاذا يروي المائة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم»<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة على تفسير الصحابة رضي الله عنهم:

تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للفظه (عصيب) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا يَبِيحٌ وَمَضَىٰ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾<sup>(٢)</sup>. قال ابن عباس: عصيب: شديد<sup>(٣)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(٤)</sup>. قال سالم رضي الله عنه: اليقين: الموت<sup>(٥)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾<sup>(٦)</sup>. قال أبو هريرة رضي الله عنه: القسورة: قسور الأسد<sup>(٧)</sup>.

وقد يقع بينهم - رضي الله عنهم - اختلاف في التفسير كما وقع الاختلاف في تفسير (القرؤ) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَبْرَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾<sup>(٨)</sup> على قولين:

(١) التفسير والمفسرون: للذهبي ٣٦/١.

(٢) سورة هود، الآية: ٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه باب سورة هود، ص ٨٠٥.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه باب تفسير سورة الحجر ص ٨١٣.

(٦) سورة المدثر، الآية: ٥١.

(٧) أخرجه البخاري: باب تفسير سورة المدثر، ص ٨٧٦.

(٨) سورة البقرة: الآية: ٢٢٨.

الأول: الحيفض وقال به عمر وعلي وأبي وابن مسعود وأبو موسى الأشعري وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

الثاني: الطهر وقال به عائشة وابن عمر ومعاوية وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

وإذا أشكل عليهم معنى في اللغة بحثوا عن مصادرها فقد روى أبو الصلت الثقفي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَبَقًا حَرَجًا﴾<sup>(٢)</sup> بنصب الراء من (حَرَجًا) فقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله ﷺ: «ضَبَقًا حَرَجًا» بكسر الراء<sup>(٣)</sup>، فقال عمر - رضي الله عنه -: أبغوني رجلاً من كنانة، واجعلوه راعي غنم وليكن مُدْلِجِيًّا. فأتوا به عمر - رضي الله عنه - فقال عمر: يا فتى ما الحرجة؟ قال الحرجة فينا: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، قال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير<sup>(٤)</sup>.

قال محمود شاكِر - رحمه الله تعالى -: «وهذا خبر عزيز جداً في بيان رواية اللغة وشرحها، وسؤال الأعراب والرعاة عنها»<sup>(٥)</sup>.

### مزايا تفسير الصحابة - رضي الله عنهم :-

وقد تميز تفسير الصحابة رضي الله عنهم بمزايا منها:

١ - قلة الأخذ بالإسرائيليات وتناولها في التفسير لحرصه ﷺ على اقتصار الصحابة - رضي الله عنهم - على نبع الإسلام الصافي الذي لم

(١) انظر تفسير الطبري: تحقيق: شاكِر، ٤/٥٠٠ - ٥١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٣) قرأ بكسر الراء في «حرجاً» نافع وعاصم من رواية أبي بكر شعبة وقرأ الباقون بالفتح. إعراب القراءات السبع وعللها: ابن خالويه ١/١٦٩.

(٤) تفسير الطبري: تحقيق: شاكِر ١٢/١٠٤.

(٥) تفسير الطبري: تحقيق: شاكِر، حاشية رقم ٤، ١٢/١٠٤.



تكدره الأهواء ولم تُشبهه الاختلافات والافتراءات يدل على هذا المقصد غضبه ﷺ حين رأى في يد عمر - رضي الله عنه - صحيفة من التوراة<sup>(١)</sup>.

٢ - لم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله، إذ إن بعض الآيات من الوضوح لديهم بحيث لا تحتاج إلى خوض في تفسيرها لتضلعهم في اللغة ومعرفتهم بأحوال المجتمع آنذاك وغير ذلك من الأسباب.

٣ - وقد كانوا لا يتكلفون التفسير ولا يتعمقون فيه تعمقاً مذموماً، فقد كانوا يكتفون في بعض الآيات بالمعنى العام ولا يلتزمون بالتفصيل فيما لا فائدة كبيرة في تفصيله، فيكتفون مثلاً بمعرفة أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِيكُمُ آبَاءٌ﴾<sup>(٢)</sup> أنه تعداد لنعم الله تعالى على عباده<sup>(٣)</sup>.

٤ - قلة تدوينهم للتفسير وأن أغلب ما روي عنهم كان بالرواية والتلقين وليس بالتدوين، وإن كان بعض الصحابة يعتني بالتدوين فقد دَوَّنَ عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - صحيفته التي يسميها الصادقة ويقول عنها: «هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد»<sup>(٤)</sup>. وهي موجودة في مسند الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> لكن هذا التدوين كان نادراً.

### منهج الصحابة - رضي الله عنهم - في التفسير:

يقوم منهج الصحابة - رضي الله عنهم - في التفسير على ثلاثة أسس:

الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

فإن من آيات القرآن ما جاء مجملاً في موضع وجاء في موضع آخر

(١) مسند الإمام أحمد: ٣/٣٨٧، والدر المنثور: للسيوطي ٤٨/٢.

(٢) سورة عبس، الآية: ٣١.

(٣) مجموع الفتاوى: لابن تيمية جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ٣٧٢/١٣.

(٤) الطبقات الكبرى: لابن سعد، ص ١٨٩، قسم ٢، ج ١٧، وتقييد العلم: للخطيب البغدادي ص ٨٤.

(٥) مسند الإمام أحمد: من ٢٣٥/٩، والجزئين (١٠) و(١١) بكاملهما وج (١٢) إلى ص ٥١.

مبيناً، ومنه ما فيه إيجاز، وما فيه إطناب، ومنه ما فيه عموم وما فيه خصوص، وما فيه إطلاق، وما فيه تقييد، ومثل هذا يُفسَّرُ بعضه ببعض.

فقصص القرآن مثلاً جاءت في بعض المواضع موجزة وجاءت القصة نفسها في موضع آخر مفصلة كقصة آدم وإبليس، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون.

وهذا النوع هو أحسن طرق التفسير كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>.

الثاني: تفسير القرآن بأقوال الرسول ﷺ:

وإن لم يجد الصحابة - رضي الله عنهم - تفسير الآية في القرآن رجعوا إلى الرسول ﷺ فسألوه عنها فبينها لهم لقوله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والأمثلة على أسئلة الصحابة - رضي الله عنهم - للرسول ﷺ في التفسير كثيرة، منها ما رواه أحمد والشيخان<sup>(٣)</sup> وغيرهم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾<sup>(٤)</sup>. شق ذلك على الناس وقالوا: يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿... يَبْنِي لَأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>. إنما هو الشرك.

وروى الترمذي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال: «يوم النحر»<sup>(٦)</sup>.

(١) مقدمة في أصول التفسير ابن تيمية ص ٩٣.

(٢) سورة النحل، من الآية: ٤٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٧٨/١، ورواه البخاري في صحيحه ٤٨/٨، ورواه مسلم في صحيحه ١١٤/١ - ١١٥.

(٤) سورة الأنعام، من الآية: ٨٢.

(٥) سورة لقمان، من الآية: ١٣.

(٦) الجامع الصحيح، للترمذي: ٢٩١/٣.



وما أخرجه أحمد والشيخان<sup>(١)</sup> عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نُوقِشَ الحِسابَ عُذِبَ». قلت: أليس يقول الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>؟! قال: ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض.

بل كان كثير من تفسيره ﷺ ابتداءً من غير سؤال كما روى مسلم<sup>(٣)</sup> وغيره عن عُقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(٤)</sup> ألا وإن القوة الرمي ألا وإن القوة الرمي ألا وإن القوة الرمي.

وما أخرجه أحمد ومسلم عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر أعطانيه الله عز وجل في الجنة»<sup>(٥)</sup>.

وقد يفسر الصحابي الآية بتفسير الرسول ﷺ لها من غير أن يصرح بسماعه لتفسيرها من الرسول ﷺ<sup>(٦)</sup> فقد سأل رجل أبي بن كعب - رضي الله عنه - فقال قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يَمَلْ سَوْءًا يُجْزَ بِهِ﴾<sup>(٧)</sup>، والله إن كان كل ما عملنا جزينا به هلكننا؟ فقال أبي: والله إن كنت لأراك أفقه مما أرى! لا يصيب رجلاً خدش ولا عشرة إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر حتى اللدغة والنفحة<sup>(٨)</sup>. وهذا هو جواب النبي ﷺ لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه<sup>(٩)</sup> ..

وسأل رجل حذيفة رضي الله عنه فقال: يا أبا عبد الله رأيت قوله

(١) مسند الإمام أحمد ٩١/٦، وصحيح البخاري ١٩٧/٧، وصحيح مسلم ٢٢٠٤/٤.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٨.

(٣) صحيح مسلم ١٥٢٢/٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٥) مسند الإمام أحمد ٢٣٦/٣، وصحيح مسلم ٢٠٠/١ - ٢٠١.

(٦) انظر: نقد الصحابة والتابعين للتفسير: د. عبدالسلام الجار الله ص ٤٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٨) تفسير الطبري: ٥١٦/٧.

(٩) تفسير الطبري: ٥٢١/٧، وأحمد في مسنده ١١/١، والحاكم في مستدركه ٧٤/٣ - ٧٥.

تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ أَهْبَارَهُمْ وَرَبُّكُنْهُمْ أَزْكَبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، أكانوا يعبدونهم؟ قال: «لا ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلووه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه»<sup>(٢)</sup>. وهذا هو جواب النبي ﷺ لعدي بن حاتم<sup>(٣)</sup>.

وسأل رجل سلمان الفارسي - رضي الله عنه - فقال: يا أبا عبدالله، آية من كتاب الله قد بلغت مني كل مبلغ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَرَىٰ يَلْمِزُوكَ إِيمَانَهُمْ يَظُنُّوكَ﴾<sup>(٤)</sup>، فقال سلمان: «هو الشرك بالله تعالى». وهذا هو ما أجاب به الرسول ﷺ لأصحابه<sup>(٥)</sup>.

### الثالث: الاجتهاد والاستنباط:

فإن لم يجد الصحابة - رضي الله عنهم - التفسير في القرآن ولا في سنة رسول الله ﷺ اجتهدوا لأنهم عرب خلصّ شاهدوا التنزيل وحضروا مجالس الرسول ﷺ والقرآن نزل بلسان عربي مبين، وهذا فيما يحتاج إلى اجتهاد وإعمال ذهن وقد توافرت عندهم أدوات الاجتهاد فهم<sup>(٦)</sup>:

أولاً: يعرفون أوضاع اللغة العربية وأسرارها وهذا يعينهم على معرفة الآيات التي يتوقف فهمها على فهم اللغة العربية.

ثانياً: يعرفون عادات العرب وأخلاقهم، وهذا يعين على فهم ما يتعلق بإصلاح عاداتهم وتهذيب سلوكهم من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا لِّيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾<sup>(٧)</sup>. وقوله: ﴿... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا...﴾<sup>(٨)</sup>. ومثل هذا يفهم المراد منه من كان يعرف عادات العرب في الجاهلية.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) تفسير الطبري: ٤١٨/١١، وتفسير ابن أبي حاتم ١٧٨٤/٦.

(٣) انظر: ص ٢٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٥) انظر: ص ٣١.

(٦) انظر: التفسير والمفسرون: للذهبي ٥٨/١ - ٥٩.

(٧) سورة التوبة، من الآية: ٣٧.

(٨) سورة البقرة، من الآية: ١٨٩.



ثالثاً: معرفتهم بأحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن الكريم وهذا يُعينهم على معرفة الآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى وما يأتون من أمور وما يُدبرون للمسلمين.

رابعاً: معرفة أسباب النزول فهم الذين شاهدوا التنزيل وحضروا الأحداث والوقائع ومعرفة ذلك تُعين على فهم كثير من الآيات ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمُسَبَّب<sup>(١)</sup>.

خامساً: قوة الفهم والإدراك فقد آتاهم الله عقلاً وفهماً جَلَّوا به كثيراً من الأمور وهذا أمر معلوم من سيرتهم - رضي الله عنهم - وبهذه الأمور فهم الصحابة كثيراً من آيات القرآن الكريم التي لم يَرِدْ تفسيرها في الكتاب ولا في السنة.

وهم يتفاوتون في معرفة معاني القرآن حسب تفاوت مداركهم وتحصيلهم وحسب تفاوت قدراتهم العقلية، ولذا يقع بينهم اختلاف في التفسير كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

واشتهر عدد من الصحابة بالتفسير هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير بن العوام وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعائشة - رضي الله عنهم - أجمعين وهؤلاء هم الذين اشتهروا بالتفسير.

وهناك عدد آخر من الصحابة نُقِلَ عنهم في التفسير نقل قليل لم يصل بهم إلى درجة الشهرة ومنهم أنس وأبو هريرة وابن عمر وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم -.

أما أكثر الصحابة - رضي الله عنهم - رواية في التفسير فأربعة هم:

١ - علي بن أبي طالب.

(١) طالعاً في أصول التفسير: لابن تيمية، ص ٤٧.

٢ - عبدالله بن مسعود.

٣ - عبدالله بن عباس.

٤ - أبي بن كعب.

أما علي - رضي الله عنه - فيرجع السبب في ذلك إلى سعة علمه وتفرغه عن مَهَامَ الخلافة مدة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - وتأخر وفاته إلى زمنٍ كثرت حاجة الناس فيه إلى مَنْ يُفَسِّر لهم القرآن لاتساع رقعة الإسلام وكثرة الداخلين فيه.

أما الثلاثة الباقون فلأنهم أنشأوا ما نستطيع أن نسميه بالمصطلح الحديث مدارس للتفسير وهي:

#### ١ - مدرسة ابن مسعود في الكوفة:

وابن مسعود - رضي الله عنه - سادس رجل دخل في الإسلام، وأول من جهر بالقرآن في مكة بعد الرسول ﷺ وكان خادماً لرسول الله ﷺ وصاحب طهوره وسواكه ونعله ويمشي أمامه إذا سار، ويستتره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، قرأ القرآن على الرسول ﷺ حتى فاضت عيناه وكان الرسول ﷺ يقول: «من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»<sup>(١)</sup>. بعثه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الكوفة ليُعلم أهلها وقال: لقد آثرت أهل الكوفة بآبن أم عبد على نفسي إنه من أطولنا فَوْقاً، كنيف مُليءِ عِلماً<sup>(٢)</sup>. ولما قدم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الكوفة قال له أهل الكوفة: «ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً، ولا أرفق تعليماً ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعاً من ابن مسعود، فقال علي: نشدتكم الله، إنه لصِدْقٌ من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال: اللهم إني

(١) مسند الإمام أحمد، ٧/١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٩/٦، قال في القاموس ص ١١٨٧ (فاق أصحابه فوقاً وفوقاً: علاهم بالشرف) والكنيف تصغير للكنف وهو الوعاء.



أشهدك، اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل»<sup>(١)</sup>. وقال ابن مسعود عن نفسه: «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته»<sup>(٢)</sup>. توفي - رضي الله عنه - سنة ٣٢هـ.

ومن أشهر تلاميذه مسروق بن الأجدع، وعلقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد النخعي، وقتادة بن دعامة السدوسي، وأبو عبد الرحمن السلمي وعمرو بن شرحبيل والشعبي وغيرهم.

## ٢ - مدرسة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في مكة:

وابن عباس هو ابن عم الرسول ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وأمه لُبابة الكبرى بنت الحارث وخالته ميمونة بنت الحارث زوجة الرسول ﷺ وأم المؤمنين، قال عنه ابن مسعود - رضي الله عنه -: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عمر - رضي الله عنهما -: «ابن عباس أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد»<sup>(٤)</sup>. دعا له الرسول ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»<sup>(٥)</sup>، وقيل لطاووس لزمت هذا الغلام - يعني: ابن عباس - وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ قال: إني رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارءوا في أمرٍ صاروا إلى قول ابن عباس<sup>(٦)</sup> وتوفي رضي الله عنه سنة ٦٨هـ.

ولمكانة ابن عباس - رضي الله عنهما - في التفسير ومنزلته الكبيرة فقد

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد ١٥٦/٣.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص ٩٦، وانظر: تفسير الطبري ٨٠/١.

(٣) سهر أعلام النبلاء، للذهبي ٣٤٧/٣، والطبقات الكبرى، لابن سعد ٣٦٦/٢، والأصباة: لابن حجر ٣٣٢/٢.

(٤) الأصباة لابن حجر ٣٣٢/٢.

(٥) روضة الأئمة أحمد في مسنده ٢٦٦/١، وصححه الألباني في شرح الطحاوية ص ٢٣٤.

(٦) الأصباة لابن حجر ٣٣٣/١.

كثر الوضع عليه في هذا الباب. وهذه المدرسة أوثق مدارس التفسير، وأكثرها استشهاداً بالشعر.

ومن أشهر تلاميذ ابن عباس - رضي الله عنه - مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وجابر بن زيد.

### ٣ - مدرسة أبي بن كعب - رضي الله عنه - في المدينة:

وهو من الخزرج من الأنصار شهد العقبة، وبدراً، وأول من كتب للرسول ﷺ بعد قدومه للمدينة، وكان سيد القراء، وأحد كتّاب الوحي، قال عنه الرسول ﷺ: «أقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب»<sup>(١)</sup>.

وروى أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب - رضي الله عنه -: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: وسماني لك؟ قال: نعم؛ فبكي»<sup>(٢)</sup>، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يسميه (سيد المسلمين).

وروى عنه أبو العالية الرياحي نسخة كبيرة في التفسير أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً، وأخرج منها الحاكم في المستدرک والإمام أحمد في مسنده<sup>(٣)</sup>.

وتوفي - رضي الله عنه - سنة ٣٠هـ ومن أشهر تلاميذه: أبو العالية الرياحي، وزيد بن أسلم، ومحمد بن كعب القرظي، وابنه الطفيل بن أبي بن كعب، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار، والزهري.

وهناك أيضاً مدارس أخرى كمدرسة البصرة ودرس فيها صحابيان جليلان هما أبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك - رضي الله عنهما -، وقد

(١) رواه الترمذي ٦٦٥/٥. وابن ماجه ٦٨/١.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٣٠/٣.

(٣) التفسير والمفسرون: للذهبي ٩٣/١.



أخذ عنهما الحسن البصري، وأيوب السخيتاني وغيرهما<sup>(١)</sup>.

### حكم تفسير الصحابي:

ينقسم تفسير الصحابي إلى أربعة أقسام:

الأول: ما لا مجال للرأي فيه، ويشمل:

أ - الأمور الغيبية كأشراط الساعة والبعث وصفة الجنة والنار.

ب - أسباب النزول.

ج - أحوال من نزل فيهم القرآن وعاداتهم وتقاليدهم كمعرفة البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك من أحوال العرب حين نزول القرآن الكريم مما لا يعرفه غيرهم.

د - ما أجمعوا عليه.

فتفسير الصحابي في هذه الأمور الأربعة له حكم الرفع ويجب الأخذ به.

وعليه يحمل قول الحاكم - رحمه الله تعالى - : «فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند»<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه الحاكم عن جابر - رضي الله عنه - قال: كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. قال الحاكم: هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها وليست بموقوفة<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين ٤٦/١، وتفسير التابعين: د. محمد بن عبد الله الخضير، ٨٧/١ - ٩٠.

(٢) معرفة علوم الحديث: للحاكم النيسابوري ص ٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٤) معرفة علوم الحديث: للحاكم النيسابوري ص ٢٠، والحديث عن جابر رواه البخاري بلفظ آخر ح ٤٥٢٨، ص ٧٦٩.

الثاني: ما يرجع فيه إلى اللغة:

وهذا يجب قبوله وله حكم الموقوف، لأنهم أهل اللغة وأربابها وأعلم الناس بها وبمقاصدها ومعانيها وقد سبق ذكر أمثلة لذلك<sup>(١)</sup>.

الثالث: ما يرجع إلى اجتهادهم:

فإن أجمعوا على تفسير وجب قبوله وله حكم الرفع كما ورد في القسم الأول.

وإن اختلفوا فيرجح بين أقوالهم ولا يرجح قول خارج عن أقوالهم وله حكم الموقوف، وأوجب بعض العلماء الأخذ بموقف الصحابي لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها وليست لغيرهم<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبرائهم»<sup>(٣)</sup>.

وقال الزركشي - رحمه الله تعالى - وهو يعد أمهات مآخذ التفسير: «الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ كما قال الحاكم في تفسيره»<sup>(٤)</sup>.

وقال في موضع آخر: «ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهدته من الأسباب والقرائن فلا شك فيه»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: ص ٢٨.

(٢) لمزيد بيان انظر كتابي (قول الصحابي في التفسير الأندلسي).

(٣) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص ٩٥.

(٤) البرهان: للزركشي ١٥٧/٢.

(٥) المرجع السابق: ١٧٢/٢.



الرابع: ما كان من الإسرائيليات:  
فهذا القسم له حكم الإسرائيليات<sup>(١)</sup>، إن وافق شريعتنا قبل، وإن خالفها رد ورفض وإن لم يوافقها ولا يخالفها فحكمه التوقف فيه.  
لكن ينبغي أن يعلم أن الصحابي لا يمكن أن يذكر ما يخالف شريعتنا من أخبار بني إسرائيل إلا أن يكون لبيان تحريفهم وضلالهم، فهم أعلم وأتقى من أن يغتروا بالإسرائيليات.

#### والخلاصة في حكم تفسير الصحابي:

أنه يجب قبوله فإن كان فيما لا مجال للرأي فيه فله حكم الرفع وإن كان غير ذلك فله حكم الموقوف إلا أن يكون بينهم اختلاف في التفسير فيرجح بين أقوالهم أو أن يكون من الإسرائيليات ولم يوافق الشريعة فيرد أو يتوقف فيه، والله أعلم.

#### المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التابعين:

لم يكن ثمَّ فارق كبير بين منهج الصحابة - رضي الله عنهم - ومنهج التابعين - رحمهم الله تعالى - فقد تلقى التابعون تفسيرهم من الصحابة - رضي الله عنهم - كما أسلفنا.

وكان التابعون يتخَرَّجون من التفسير كما تَخَرَّج الصحابة - رضي الله عنهم - . فهذا سعيد بن المُسَيَّب - رحمه الله تعالى - كان إذا سئل عن تفسير آية سكت كأن لم يسمع<sup>(٢)</sup> . وهذا الشعبي كان يقول: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله<sup>(٣)</sup> . وهذا القول منهم - رحمهم الله تعالى - محمول على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا عِلْمَ لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص ١٠٠.

(٢) المرجع السابق: لابن تيمية ص ١١٢.

(٣) المرجع السابق: ص ١١٣.

(٤) المرجع السابق: ص ١١٤.

## منهج التابعين في التفسير:

يشارك التابعون رحمهم الله تعالى مع الصحابة - رضي الله عنهم - في أهم أسس التفسير، إلا أنهم نظراً لاتساع الفتوحات الإسلامية جَدَّتْ عندهم أسسٌ أخرى، فمنهج التابعين رحمهم الله تعالى يقوم على:

١ - تفسير القرآن بالقرآن كما مر في منهج الصحابة - رضي الله عنهم - .

٢ - تفسير القرآن بالسنة النبوية كما مر - أيضاً - في منهج الصحابة - رضي الله عنهم - .

٣ - تفسير القرآن بأقول الصحابة فإن التابعين رحمهم الله تعالى كانوا يرجعون إلى تفسير الصحابة - رضي الله عنهم - ويُقدمونه على أقوالهم وهم الذي تلقوا التفسير عن الصحابة وعرضوه عليهم كما قال مجاهد بن جبر: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كُلِّ آية منه وأسأله عنها»<sup>(١)</sup>.

٤ - الفهم والاجتهاد فإن لَمْ يجد التابعون التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة اجتهدوا، فهم أهلٌ للاجتهاد وهم الذين يعلمون لغة العرب ومناحيهم في القول، وقد تلقوا التفسير عن الصحابة وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم فحق لهم أن يجتهدوا بعد ذلك.

٥ - أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

وذلك أن القرآن الكريم يذكر قصص الأنبياء السابقين والأمم الماضية ذكراً موجزاً ولم يتعرض لتفاصيل هذه الأحداث والقصص، والنفوس تميلُ إلى الاستيفاء والاستقصاء، فلما اتسعت الفتوحات الإسلامية ودخل في الإسلام أمم من أهل الكتاب الذين يعرفون تفاصيل هذه القصص من التوراة والإنجيل صاروا يروون هذا للناس، وصار الناس يُقبلون على سماعها حُبّاً

(١) المرجع السابق: ص ١٠٢.



لسماع تفاصيل القصص والأخبار القرآنية فدخل في التفسير طائفة من هذه الأخبار التي تعرف بالإسرائيليات.

وأكثر من رويت عنه الإسرائيليات عبدالله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبدالملك بن جريج.

### مزايا تفسير التابعين رحمهم الله تعالى:

ويتميز تفسير التابعين رحمهم الله تعالى بمزايا عديدة منها:

- ١ - دخول الإسرائيليات في التفسير.
- ٢ - لاتساع الفتوحات الإسلامية ودخول كثير من العجم في الإسلام زادت الحاجة إلى تفسير كثير من الآيات التي لم يتناولها الصحابة - رضي الله عنهم - لظهور معناها عندهم، فزاد التابعون تفسير ما احتاج الناس إلى تفسيره، فأتموا التفسير وشمل القرآن كله.
- ٣ - ظل التفسير في هذا العهد محتفظاً بطابع التلقي والرواية، وإن كانت هذه الرواية ذات صبغة خاصة، ذلك أن أهل كل مصر يعنون بشكل خاص بالتلقي والرواية عن إمام مصرهم فالمكيون عن ابن عباس والمدنيون عن أبي بن كعب والعراقيون عن ابن مسعود<sup>(١)</sup>.
- ٤ - كثرة الخلافات التفسيرية وزيادتها عما كانت عليه في عهد الصحابة فهم قد تناولوا ما اشتمل عليه تفسيرهم وأضافوا إليه آراءهم حسب اجتهادهم ومن ثم زادت الأقوال والتفسيرات في الآية الواحدة.
- ٥ - ظهرت نواة الخلاف المذهبي فظهرت بعض الآراء التي تحمل في طياتها بذور هذه المذاهب.
- ٦ - كان التفسير في ذلك العهد مروياً بإسناد كل قول إلى صاحبه ونسبته إليه حتى تُعرف الأقوال ويُتميز بين قوبها وضعيفها، وصحيحها وسقيمها.

(١) انظر: التفسير والمفسرون: للذهبي ١٣١/١.

## أشهر المفسرين من التابعين:

وممن اشتهر بالتفسير من التابعين:

مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبیر، وعطاء، وعكرمة، والحسن البصري، وزيد بن أسلم، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية الرياحي، وعامر الشعبي، وغيرهم.

## حكم تفسير التابعي:

اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعي للآية إذا لم يرد تفسير لها عن الرسول ﷺ ولا عن أحد أصحابه - رضي الله عنهم -: فقالت طائفة منهم ابن عقيل ورواية عن الإمام أحمد وشعبة أنه لا يجب الأخذ بتفسير التابعي لأنهم:

١ - ليس لهم سماع من الرسول ﷺ فلا يمكن أن يُحمل تفسيرهم على أنهم سمعوه من الرسول ﷺ كالصحابية.

٢ - أنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزلَ عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد وظن ما ليس بدليل دليلاً.

٣ - أن عدالة التابعين غير منصوص عليها كما نُصَّ على عدالة الصحابي، كما نقل عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال: ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن أصحابه فلا أتركه، وما جاء عن التابعين فهم رجال اجتهدوا ونحن رجال نجتهد<sup>(١)</sup>.

٤ - ما قاله شعبة: «أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير»<sup>(٢)</sup>.

وقالت طائفة: وهم أكثر المفسرين ورواية أخرى عن الإمام أحمد

(١) فواتح الرحموت بشرح مُسلم الثبوت: لابن عبد الشكور ١٨٨/٢.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ص ١٠٤.



رحمه الله تعالى: أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير إذا لم نجد تفسيرها في السنة ولا في أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة - رضي الله عنهم - وحضروا مجالسهم ونهلوا من علمهم وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم، فقد عرض مُجاهد المصحف على ابن عباس ثلاث مرات يسأله عن كل آية - كما مرّ - وقتادة بن دعامة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً<sup>(١)</sup>. وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها<sup>(٢)</sup>.

### والرأي الراجح:

هو التفصيل:

١ - فإن كان مما لا مجال للرأي فيه - كما مر - كتفسير مجاهد لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾<sup>(٣)</sup>، قال: إقعاده على العرش<sup>(٤)</sup>، فهذا تفسير غيبي لا يمكن معرفته بالاجتهاد فلا يقبل بل هو من قبيل المراسيل وهي لا تقبل في مثل هذا الانفراد<sup>(٥)</sup>.

٢ - إن أجمعوا على تفسير واحد وجب الأخذ به لأن الإجماع حجة.

٣ - إن اختلفوا فلا يكون قولهم حجة على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى الترجيح بين الأقوال.

٤ - إن كان من الأخبار الإسرائيلية فحكمه حكم الإسرائيليات.

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «فإن أجمعوا على تفسير واحد

(١) طبقات المفسرين: الداودي ٤٣/٢.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ابن تيمية، ص ١١٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٤) تفسير الطبري ١٤٥/١٥، وروى الطبري ما ورد عن الرسول ﷺ من أن الملام محمود هو الشفاعة.

(٥) فصول في أصول التفسير: د. مساعد الطيار ص ٣٩.

وجب الأخذ به ولا يرتاب في كونه حجة، وإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب»<sup>(١)</sup>.

### المرحلة الرابعة: التفسير في عهد التدوين:

كان الغالب على المراحل السابقة أن التفسير كان بالرواية والتلقين، وإن كان هناك تدوين فهو تدوين قليل تغطي عليه الرواية وتستأثر بالصيغة العامة.

ونستطيع القول أن التدوين بدأ في النصف الثاني من القرن الهجري الأول حيث ظهرت مدونات شخصية لأفراد من التابعين دونوا ما تلقوه عن أئمتهم من الصحابة - رضي الله عنهم - أجمعين فقد كتب مجاهد بن جبر تفسيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (ت ٦٨هـ)<sup>(٢)</sup>، وجمع سعيد بن جبير رحمه الله تعالى لعبدالمك بن مروان (ت ٨٦هـ) صحيفة في التفسير<sup>(٣)</sup>، وجمع أبو العالية الرياحي (ت ٩٠هـ) نسخة في التفسير عن أبي بن كعب - رضي الله عنه<sup>(٤)</sup> -، وكتب عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري رحمه الله تعالى (ت ١١٦هـ)<sup>(٥)</sup>، وكان عند زيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ) كتاباً في التفسير<sup>(٦)</sup>، وألف إسماعيل بن عبدالرحمن السدي (ت ١٢٧هـ) تفسيراً للقرآن<sup>(٧)</sup> وغير ذلك كثير.

- 
- (١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص ١٠٥.
  - (٢) انظر مجموع الفتاوى: لابن تيمية ٣٦٩/١٣، وتفسير الطبري ٩٠/١، وتفسير ابن كثير ٣/١.
  - (٣) تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني ١٩٨/٧ - ١٩٩.
  - (٤) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، ١١٥/١.
  - (٥) وفيات الأعيان: لابن خلكان ١٣٢/٣، وتاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ٢٥٧/١.
  - (٦) تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي، ١٣٣/١.
  - (٧) انظر الإتقان: السيوطي ١٨٨/٢، وتفسير الطبري، تحقيق: شاکر ١٥٦/١ - ١٦٠، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٣١٥/١.



ومع هذا فقد نص ابن تيمية<sup>(١)</sup>، وابن خلكان<sup>(٢)</sup>، رحمهما الله تعالى على أن أول من صنف في التفسير عبد الملك بن جريج (ت ١٥٠هـ) والصواب في ذلك يحتاج إلى تحقيق.

ولعل الغالب على هذه المؤلفات التفسيرية هو الالتزام بالمأثور والإسناد.

ثم توسعت العلوم والمعارف ومنها علم التفسير فظهرت تفاسير شاملة للقرآن الكريم وأشهر من دونه على هذا النحو يحيى بن سلام البصري (ت ٢٠٠هـ)<sup>(٣)</sup>، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري<sup>(٤)</sup> (ت ٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)<sup>(٥)</sup>.

وأشهر هذه المؤلفات وأوفاهها وأوسعها وأتقنها تفسير ابن جرير الطبري (ت ٣٢٤هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وقد وصل إلينا تفسيره كاملاً.

ثم تتابعت المؤلفات في التفسير وتنوعت ألوانها وتعددت مشاربها واختلفت مذاهبها إلى يومنا هذا، فبعد أن كان التفسير يعتمد على النقل عن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين رأيناه في تلك المرحلة يعتمد على التفسير بالرأي وذلك نتيجة لنشأة كثير من الفرق والملل والمذاهب في الإسلام فأصبح أصحاب كل مذهب يتجهون إلى آيات القرآن ويفسرونها حسب ما يوافق مذاهبهم ومعتقداتهم، كما اعتنى أرباب العلوم بما يوافق علومهم فكان كل مَنْ بَرَعَ في علم من العلوم غلب ذلك على تفسيره، فالفقيه يكاد يسرد

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢٢/٢٠.

(٢) وفيات الأعيان: لابن خلكان ٣٣٨/٢.

(٣) طبع في مجلدين بتحقيق: د. هند شلبي، كما قام بتحقيقه ثلاثة من الباحثين في رسائل علمية، والموجود من التفسير فيه سقط نحو الثلث في مواضع مختلفة، ولهذا التفسير ثلاثة مختصرات (تفسير هود بن محكم) و(تفسير أبي المطرف) و(تفسير ابن أبي زمين).

(٤) طبع في مجلدين بتحقيق: د. سعد بن محمد السعد والموجود منه إلى سورة النساء.

(٥) طبع في عشرة مجلدات وأكثر من طبعة.

فيه الفقه وربما استطرذ إلى إقامة أدلة الفروع والرد على المخالفين، كالجصاص والإخباري استطرذ في ذكر القصص والإسرائيليات كالثعلبي. والنحوي توسع في الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه كالزجاج والواحدي وأبي حيان.. وصاحب العلوم العقلية أكثر من أقوال الحكماء والفلاسفة وشبههم والرد عليهم كالفخر الرازي<sup>(١)</sup>.

وهكذا نرى كل صاحب فن أو مذهب يُفسر القرآن بما يتناسب مع فنه، أو يوافق مشربه، أو يشهد لمذهبه ولو كان بعيداً كل البعد عن المقصد الذي نزل من أجله القرآن<sup>(٢)</sup>.

### أهم المؤلفات في عصر التدوين:

ليس من السهل ذكر المؤلفات في عصر التدوين الذي امتد من القرن الأول إلى عصرنا الحاضر، فضلاً عن استقصاء ذلك وإذا كان الأمر كذلك فسنذكر أهم المؤلفات إجمالاً:

فمن أهم المؤلفات في التفسير بالمأثور:

- ١ - جامع البيان في تفسير القرآن: للطبري.
- ٢ - بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي.
- ٣ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن: للثعلبي.
- ٤ - معالم التنزيل: للبغوي.
- ٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية.
- ٦ - الدر المنثور في التفسير المأثور: للسيوطي.
- ٧ - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير.
- ٨ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: للثعالبي.

(١) انظر: الإتيان: للسيوطي ١٩٠/٢.

(٢) انظر: مناهل العرفان: للزرقاني ٥٠١/١.



## شروط المفسر

إذا تتبعنا الشروط التي اشترط العلماء توفرها في المفسر، والتي اجتهد الإمام السيوطي (رحمه الله) وصاحب كتاب "المباني" في جمعها لنا لا نجدها تخرج عن هذه الشروط :

- ١- اللغة: لأن بها يعرف شرح المفردات ومدلولاتها بحسب السياق.
- ٢- النحو: لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب . فلا بد من اعتباره.
- ٣- التصريف: فيه تعرف الأبنية والصيغ .
- ٤- الإشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما .
- ٥- علوم البلاغة: وهي علوم المعاني والبيان والبديع، لأن المفسر يعرف بالأول خواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالتالي خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالتالي وجوه تحسين الكلام.
- وهذه العلوم هي أعظم الشروط التي ينبغي توفرها في المفسر، ذلك أنه مطالب بمراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم .
- ٦ - علم القراءات: وبه نعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقرارات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .
- ٧- أصول الدين: بما في القرآن الكريم من الآيات الدالة بظواهرها على ما يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤول ذلك، ويستدل على ما يستحيل، وما يجب وما يجوز.
- ٨- أصول الفقه: فيه يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .
- ٩- أسباب النزول والقصص: فبسبب النزول يمكننا معرفة الظروف والملابسات التي واكبت نزول الآية . وبالقصص يمكننا الوقوف على بعض أبعاد ما أجمل في القصص القرآني.
- ١٠- الناسخ والمنسوخ: ليعلم محكم أي الذكر الحكيم من غيره .
- ١١- الفقه: حتى تفسر آيات الأحكام تفسيراً صحيحاً لا يحيد بها عن جادة الحق والصواب.
- ١٢- الإمام بالأحاديث النبوية الشريفة المبينة والمفسرة لما أجمل وأبهم من أي الذكر الحكيم .

١٣- علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم .  
وإليه يشير الحديث النبوي ( من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ).

أما بالنسبة للمفسر المعاصر فيتعين إضافة ثلاثة شروط أخرى، وهي:

- ١- الإمام التام بعلم العصر وذلك حتى يمكن أن يعطي للقرآن بعده الحضاري الصحيح فيتحقق مفهوم شمولية وعالمية الدين الإسلامي.
- ٢- المعرفة بالفكر الفلسفي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، السائد والمهيمن على الساحة، وذلك حتى يستطيع دحض كل الشبهات المحاكة حول الدين الإسلامي، وإبراز حقيقة القرآن الكريم وموقفه من كل قضايا العصر، وذلك مساهمة منه في نشر الوعي بحقيقة الإسلام وريادته الفكرية والحضارية.
- ٣- الوعي بمشكلات العصر وأزماته، والمعرفة بها ضرورة لإبراز موقف الإسلام منها وسبل تفاديها وكيفية معالجتها، ولصاحب " كتاب المباني " إشارة لطيفة لهذه النقطة، حيث يقول: والثالثة أن يكون عالماً بأبواب السر من الإخلاص والتوكل والتفويض والأذكار الباطنة التي افترضها الله تعالى، وبالإلهام والوسوسة وما يصلح الأعمال وما يفسدها، وبآفات الدنيا ومعائب النفس، وسبل التوقي من فسادهما ليتأتى له تفسير الآيات المنتظمة لهذه المعاني.

#### آداب المفسر:

يمكن ان نستخلص جملة آداب يتعين على المفسر التحلي بها وهي:

- ١- صحة الاعتقاد .
- ٢- التجرد عن الهوى.
- ٣- حسن النية .
- ٤- حسن الخلق .
- ٥- التواضع ولين الجانب .
- ٦- الزهد في متاع الدنيا، حتى يكون عمله خالصاً لله تعالى .
- ٧- إعلان التوبة والامتنان لأمر الشرع، والانتهاز عن نواهيه .
- ٨- عدم الاعتماد في التفسير على أهل البدع والضلالة.
- ٩- يتعين عليه أن لا يستكين إلى معقوله، وأن يجعل من كتاب الله أميراً يقتدى به .



## بعض المؤلفات في التفسير التي تخص أصول التفسير

التيسير في قواعد علم التفسير للكافي ت ٨٧٩

الفوز الكبير في أصول التفسير للدهلوي ت ١١٧٦

مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ت ٧٢٨

رسالة في اصول التفسير للسيوطي ت ٩١١

القواعد الحسان لتفسير القرآن لابن سعدي معاصر

التفسير والمفسرون للذهبي

بحوث في اصول التفسير لفهد الرومي

أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار

معالم في أصول التفسير للدكتور ناصر المنيع